الأديب
شكيب جهشان

شكيب جهشان شاعر النبوءة والحنين والوفاء

نادر مصاروه

سيرة ذاتية:

جالسا على فوهة القلق، قابضًا على ناصية الروح، يتصبب شعرًا، ويجهشُ علمًا وأدبًا وعطاءً. كان أبو إياد الإنسان والشاعر والمعلم والمربي. ألقُ الإبداع في عينيه، وحيرةُ المبدعِ على محياه، وتململ الشاعر ولوبانُهُ في حركاته وسكناتِهِ.

متوسدًا ذراع قصيدةٍ، متأبطًا ديوان شعرٍ، ممتطيًا سحاب المعرفة، قابضًا على جمرةِ الشعر، راجًّا ساحة الأدب، حاملاً شعلة الإبداع، متكئًا على كتف التراث، راكبًا صهوة العلم، كان أبو إياد وكنا معه شهودًا على زمن الانكسارات والانتصارات. راصدًا الفرح الآتي، منازلاً الوجع والهم، مناطحًا قرون الوعل، ممسكًا المجد من قرنيه. سار أبو إياد وسرنا معه في رحلة عطاءٍ شائكة شائقةٍ، قوامها عرق الرجال، وصلبها جحيم المقلاة، يزيل فيها بشعره، بأدبه، بعلمه، بتعليمه، بأخلاقه، ما تطين على أجسادنا من أورامٍ وأدران وما علق بنفوسنا من دسمٍ ومن ركام الأيام والسنين. كاشفًا لعبة الزمن، معريًا عهره وتعاهره، مُزيلاً أصباغه، مشرعًا كوى الأمل، عاش أبو أياد وعشنا معه لا يلهث وراء لقبٍ ولا يتغيا منزله أو منصبًا ولا يتزيا أزياء الخداع ولا يقتنع أقنعة المنتفعين، فكان أن اخترق بوجوده المتميز الحياة على تشظياتها وألوانها، على آلامها وأوجاعها، على أبعادها وهمومها، على خفاياها وخباياها، حاثًا على خلقٍ مرشدًا إلى أصالةٍ مقومًا الضلال.

كانت نفسه الكبيرة تتفور، وحناياه تتوثب وثناياه تنزف، فيندلق التفور والتوثب والنزيف شلالات مسكٍ، وأنهار عنبر، وقوارير طيبٍ، هي قصائده التي لا أحلى ولا أجمل، قصائده المؤنثة بأوجاعنا الماتحة من همومنا، المحمّلة بآلامنا وآمالنا في آنٍ معًا. هكذا يصف الباحث د. حبيب بولس شاعرنا شكيب جهشان؛ الشاعر ابن قرية المغار المولود في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ألف وتسعمائة وست وثلاثون، الابن الثاني لوالدين أنجبا ثلاثة أبناء وثلاث بنات، لم يتوان في أن ينهل العلم منذ نعومة أظفاره، فتلقى علومه الأوليّة

في مدرسة قريته الابتدائية، ثم انتقل إلى الناصرة حيث التحق بمدرستها الثانوية البلدية. في عام ألف وتسعمائة وخمسة وخمسون تخرّج منها وعمل معلِمًا في وزارة المعارف، في دير الأسد أولاً، ثم في مدرسة الرامة الثانوية،

عمل معلمًا بدءًا من سنة 1957. ولم ينته شغفه للعلم بل راح يبحث عن مناهل العلم في كلّ مكان فالتحق بعدة دورات استكمالية في الجامعة العبرية في القدس. وفي سنة ألف وتسعمائة وأربع وستين تزوج وعاش في الرامة. له من الأبناء أربعة. خرج إلى التقاعد المبكر من عمله في مدرسة الرامة عام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين. أقام في الناصرة منذ عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين. عمل معلمًا للغة العربية في مدرسة المطران - إكليريكية وثانوية القديس يوسف - ثلاثة وعشرين عامًا. انخرط شاعرنا في مسيرة النضال لفلسطيني الداخل فشارك مع مجموعة من الكتاب الفلسطينيين، أواخر الثمانينيات في تأسيس الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين في إسرائيل وانتخب نائبًا لرئيسه لدورتين متتاليتين. شارك مع مجموعة من أصدقاء ورفاق درب القائد الراحل توفيق زيّاد عام ألف وتسعمائة وستة وتسعين في تأسيس مؤسسة توفيق زيّاد للثقافة الوطنية والإبداع في الناصرة، وبقي عضوًا في هيئتها الإدارية حتى رحيله. في الرابع عشر من شباط سنة ألفين وثلاث قطع الموت مشوار البذل والعطاء، ورحل شكيب جهشان عن عمر يناهز ستة وستين عامًا.[1]

[1] صدوق، **شعراء فلسطين في القرن العشرين**، ص343؛ كامل، **نصوص وظلال**، ص21؛

أعماله الأدبية:

أصدر جهشان المجموعات الشعرية التالية:

1. **أحبكم لو تعرفون كم**. قصائد. 1988.
2. **ثم ماذا**. قصائد. 1989.
3. **أذكر**. مطولة شعرية. 1992. مسرحها مسرح "الميدان" سنة 2000.
4. **رباعيات لم يكتبها عمر الخيام**. رباعيات. 1993.
5. **لوحتان.** لوحتان شعريتان. 1994.
6. **عامان من وجع وتولد فاطمة**. قصائد. 1996.
7. **نمر الياسين الساعديّ يحكي لكم**. حكاية شعرية. 1996.
8. **جادك الغيث**. شعر. 1998.
9. **طيارة حرامية**. شعر للأطفال. 1998.
10. **على شوق لأيام غوالٍ.** نص نثري. 2001.
11. **يطلّون أوسمة من شذًا**. شعر.

أسلوبه الشعريّ:

يتميز العالم الشعري لشكيب جهشان بالغنى والتنوّع، فهو لا يستقر على أسلوب واحد، فهو دائم الاغتناء، دائم التطور، يطعمّ شعره من عالم الموروث الشعري العربي ومن الشعر المضارع عربيا وعالميا.

وقد كان إسهام الشاعر في دفع الحركة الشعرية إسهامًا كبيرًا كما يذكر ذلك الناقد نبيه القاسم في كتابه **حركتنا الشعرية إلى أين**؟، "اكتسبت حركتنا الثقافية المحلية، بعودة الأستاذ شكيب جهشان إليها اسما طالما تساءلنا عنه وتمنيناه... خاصة وكان له دور في دفع

حركتنا الثقافية المحلية في سنوات الخمسين والستين الأولى بما أنتج من شعر وقصة ومقالة نقدية"[2]

يحيل المفكر حسين مروة في كتابه **الموقف الثوري في الأدب** نجاح شعر المقاومة إلى ثلاثة أصول:

1. كونه نابعًا من الجماهير، فالشعراء هم أبناء هذه الجماهير فهي ربتهم وأعطتهم الجذور.
2. الاندماج والالتحام بين الشاعر وواقعه وسمة هذا الأمر الفنية صدق التجربة والأصالة في تصوير صراع الإنسان الفلسطيني.
3. الشروط المعرفية أي المنطلق الفكري الثوري الذي يصدر عن هذا الشعر، وينفذ إلى الأعماق مؤثثا بالطاقات المتحفزة دائما لصياغة نفسها من جديد بأشكال ومضامين متطورة باستمرار.[3]

وشكيب جهشان شاعر مطبوع حقا، وأديب متطور يبحث دائمًا عن الوسائل الأدبية الجديدة. وهو رغم حداثته لا يتطرف في محاكاة "آخر صرخة" إذا وجدها لا تلائم مضامين شعره واتجاهاته.[4] ...وهو "ينأى بقصائده عن التعقيد الذي لازم بعض المدارس الشعرية الجديدة، مؤثرا الأسلوب الواقعي المنطقي، واللغة الشعرية البسيطة إلى أقصى درجات البساطة، بل ربما اقتربت بعض قصائده أحيانا من لغة الحياة اليومية، مقتبسا إن دعا الأمر أصواتا ونداءات عاميّة"[5]

---

[2]. نفسه، ص112.

[3] انظر: بولس، **ثلاث محاضرات في شعر محمود درويش. نقلا عن:**
http://www.bettna.com/articals2/showArticlen.ASP?aid=1412
وانظر: مروة، **الموقف الثوري في الأدب**، منشورات دار الفكر العربي، 1976.

[4] انظر: سوميخ، مقدمة ديوان الشاعر "أذكر"، ص10.

[5] انظر: نفسه، ص10

ويدعم هذا الرأي سالم جبران في مقدمته لديوان الشاعر "ثمّ ماذا"، فيقول:" فالقَصّ البسيط المطعم بكثير من الأمثال والعبارات العامية وبساطة النص ووضوحه وجمال اللغة وسلاستها- كل هذا وغيره يجعل شعر جهشان قريبًا إلى القلب، قريبًا إلى الروح. وهو يدحض القول - الوهم بأن الإغراب والابتعاد عن الواقع هو ((الماركة المسجلة)) للفنية. هنا نقف أمام المعادلة الفنية الصعبة والمعقدة التي تجعل الشعر يحلّق فلا يبالغ ويلتصق بالشعب دون أن يقع في قيود ملموسية الحَدَث أو حماسية الشعار".[6]

ويعبّر الشاعر نفسه عن شعره فيقول:"إن القصائد التي أمامكم هي مزيج من الانفعالات والرؤى، هي الخوف والقلق، وهي الرجاء والأمل هي التجربة والمثل، وهي العطاء والإيثار هي الشجاعة والإباء، وهي الحنين والمحبة وهي فوق كل ذلك نداء التراب، وفرح الأرض". ويحدثنا الشاعر عن موقفه من أسلوب القصيدة ومضمونها فنراه يقول:" لن أحدثكم عن القصائد أكثر، فهي أمامكم وأنا راض كل الرضا بحكمكم عليها"[7].

موتيف الحنين في شعر جهشان

قال نجل الشاعر الراحل، الدكتور إياد جهشان: إن الدافع للكتابة لدى والده تشكل في بعض من أبعاده حنينا ما إلى الماضي، وهذا ما تمثل في تقديمه لإحدى مجموعاته الشعرية، حينما كتب يقول: "قد أتجاز الحقيقة إذا ادعيت أن الحنين لم يكن دافعًا هامًا، بل أساسيًا لكتابة هذه النصوص التي أقدمها اليوم، نعم للحنين كان دور بارز وفاعل في الكتابة، الحنين إلى زمان مضى، والحنين إلى مكان راح، وان ظل باقيا في العين، والحنين إلى الناس الذين تقلبت بهم ".[8]

[6] جهشان، **ثمّ ماذا**، مقدمة الديوان، ص7-8.

[7] جهشان، **ثمّ ماذا**، مقدمة الديوان، ص8.

[8] انظر: http://www.farfesh.com/Display.asp?catID=162&mainCatID=181&sID=25160

يروي الشاعر شكيب جهشان، في كتاب له، صدر في الذكرى الخامسة لرحيله، سيرته الذاتية، عبر رؤية تتمحور في السيرة الجماعية لأبناء شعبه عامة في قرية لا يحددها، وإن كان يفوح من كلامه عنها فوحُ عطرٍ يقول:" إنها قريته المغار الواقعة في منطقة الجليل، تلك القرية التي ظل يحن إليها حتى يومه الأخير، حين وافته المنية في بيته في مدينة الناصرة. الكتاب حمل عنوان " كلهم كانوا هنا- حكايات عن ناس من لحم ودم".

كان حنين الشاعر للطفولة الجميلة بكل محاسنها، اللهو البريء والتمتع بجمال هذه الأيام. حنين إلى روعة الطفولة متمنيًا أن يسير إلى الوراء هربًا من تراكض السنين، من عتبة الكهولة، حنين إلى ساعد أمين فيه الحنان ليغفو عليه، فيقول:

يا عمري المنهوب

يا تراكض السنين

شابت على ذوائبي الأيام

واكتوت

من وجعي الأحداق والجفون

القدم اليمنى تدقّ عتبة الكهولة

والقدم اليسرى

تشدّ عمري نحو روعة الطفولة

أسير للأمام؟ لا

يا ليتني أسير إلى الوراء

.....

من يشتري الرجولة

بلحظة من عبث الطفولة

وألم الطفولة

وغفوة على ضفاف ساعد معطر أمين؟!

يا عمري المنهوب،

يا تراكض السنين

يا ليتني أسير للوراء

أعيد رحلة السنين والحنين

ورحلة الغناء والبكاء؟![9]

يزداد الحنين إلى الجذور المتأصلة بأرضه، وحكايات سمعها من أهله، أو ربما عاشها بنفسه، ولكنها تبقى في الذاكرة والوجدان، حنين إلى لمّة الأسرة حول الموقد في كانون، إلى يد جدته تلامس شعره:

والتمّت الأسرة حول الموقد الحنون

وقطّتي تمدّ قدّها الجميل في عيوننا

وترصُد اللهب

والموقد المجنون

يلتهم الصدور والعيون

والحطب

ويكبر اللهب

وجدتي تسكب في آذاننا

حكاية الشطار والنيّة

.....

وجدتي

[9] جهشان، **ديوان أذكر**، ص16-17.

تمرّ فوق شعري المقرور

كفًا من الذهب[10]

يرتبط الحنين ارتباطًا وثيقًا بالغربة في الشعر الفلسطيني، فعندما يبتعد الإنسان عن مكان ما، يشعر بحنين إليه، ويشتاق لكل ما فيه، وهذا ما حصل مع الشاعر الفلسطيني الذي فجر سنين غربته بأشعار ينضح فيها الحب والحنين. فيشارك الشاعر شكيب جهشان شعبه هموم الغربة، وما أصاب هذا الشعب بعد اغتصاب أرضه من قبل العدو، فهوى وطنه بين ليلة وضحاها، وتفرق الناس كل في مكان، وأصبح مأواهم الخيام البالية، ومرت السنوات وتلتها الأعوام وهم في الغربة، والوطن ينتظر الغياب ولكن لا حياة لمن تنادي، فأصبحوا ذكرى تمر في البال كلما ذرفت العين مدامعها :

كان لي كرم من الزيتون قرب الغابسيّة

صار لي بيت من الزنك على خصر جنين...!!!

كان لي حقل من القمح

وماء وهوية

صار لي وعد، وأحلام، وذكرى وحنين؟!

ثمّ ماذا؟!

صادروا الوعد وبزُّوا أملي

واستباحوا بيتي الواهي على خصر جنين

واستباحوا مرّة أخرى حقول القمح والزيتون

قرب الغابسيّة

وحقول الميرميّة[11]

[10] **نفسه**، ص24-25.

[11] جهشان، **ثمّ ماذا؟**، ص30-31.

النبوءة والأمل بالنصر

الشاعر شكيب جهشان الذي نقرأ له من خلال هذه الدراسة له منهجه الخاص في تناوله للموضوع، ولا نقول هنا بالتمايز بقدر ما ترتاح إلى لغةٍ يغلب عليها البساطة وعدم التعقيد والابتعاد عن الغلوّ، فبساطتها التي تظهر من خلال ألفاظها، تُظهر قدرتَه على محاكاة كل شيء إضافة إلى كونه يمتلك طاقاتٍ إيحائية ذات قيمة عالية، فصفاء الأسلوب، واقترابه من الحياة بكل همومها وأفرحها، وآمالها وأحزانها، جعل الشاعر أكثر التصاقًا بالحياة، وقربًا من كلّ المؤثّرات الخارجيّة، فتناول مسيرة النضال الفلسطينية وما صحبها من كبوات، والتي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في مسيرة النّضال من خلال لغة دامية، وقلب مجروح، فبرزت معالم الشاعر من خلال أسلوبه.

وإذا كانت الشاعر يختصر المسافات بين الحاضر والماضي، وبين الأمل واليأس، من خلال لغة ناهضة، إلا أنه يرى نهاية الطريق أكثر إشراقًا، وأكثر أملاً من اليأس، فطغت عليه روح الحبّ لكل ذرّة تراب في الوطن، فكان لوطنيّته حضور متميّزٌ في قصائده، ولإنسانيّته لغةٌ خاصّةٌ في دواوينه، ليُعلنَ بعد ذلك بأنّ دولته الفلسطينيّة ستقوم بسواعد الأولاد الذين يغنون للغد الآتي وينتظرون الشروق ليعلنوا بدايةَ عهد جديد.[12]

ولد على كتف الطريق

ولد، ولدْ

مددٌ، مدد

ولد على كتف الطريق

يدقّ في فرح قيوده

ويقيم بالأوجاع

والمقلاع

[12] انظر: حبش، زينب، http://www.zeinab-habash.ws/commenton/yahia-zakaria.htm

دولته العتيده[13]

وإذا سبرنا أغوار - مطولته الشعرية - 1992 "أذكر"، نجد أن الديوان حافل بالذكريات المفعمة برائحة الوطن، ترابه وسهوله، ليله ونهاره، حكايات الجدّ والجدّة، الحقول وسنابل القمح، شمسه وقمره، أطفاله وشيوخه، فرح الصغار وبكائهم، مواسم الزيتون صيفه وشتائه، حافل أيضًا بألم الجرح الفلسطيني المستوحى من الواقع بكلّ آماله وآلامه:

يطوّق الجنود قريتي

وتُرفع الملاحف البيضاء فوق أسطح البيوت

والخنادق

وقبل أن يودع النهار

يسلّم الرجال صاغرين

غالي البنادق

وعمّه والفتية المقاتلون

تشتتوا في الأرض لاجئين؟![14]

ولكنك ترى النصر والعزة وأمل العودة بكبرياء وشمم إلى الوطن يبزغان من ألم الشتات:

يروون أنّ عمّه المختار صار لاجئًا

ينتظر الطحين مثل غيره، والزيت والرجوع

لكنّه ما عرف الدموع

يروون أنّه

ما عاد واهمًا!!

[13] انظر، جهشان، **ثمّ ماذا؟!**، ص9-10.

[14] جهشان، **أذكر**، ص110.

وظلّ صادقًا

وظلّ واثقًا[15]

ويرسم الشاعر خارطة الوطن أمام ناظريه حيث يسير إلى الأمام بكل ثقة نحو مستقبل آت دون تردد رغم الألم والجراح النازفة، ولكنّ هذه الخارطة تهيئ الدرب للأجيال القادمة:

أسير للوراء؟! لا

أسير للأمام، للأمام، للأمام

يموت دون عشّه اليمام

لكنه يستودع الحناجر اللدان لحنَهُ

يعلّم القوادم اللطاف أن تلوّن السحر

.....

أسير للوراء

لا

أسير للأمام، للأمام، للأمام

تئن من جروحها الأقدام

لكنها تهيئ الدروب للقوافل الأخرْ

.....

لكن نوسّع الطريق للأحباب

صوب دارة القمر[16]

ويؤكد أن المستقبل للفلسطيني مهما كان الواقع الحاضر[17]:

[15] نفسه، ص112.

[16] جهشان، **أذكر**، ص132.

وتظلّ في الأرحام واعدة الرؤى بعض البذور

يا ضيعة الجزّار يوم أعود في فرح النسور[18]

ويعبر الشاعر عن ثقته بحتمية النصر الآتي في قصيدته التي يزف فيها العروس الجميلة إلى العريس الغالي "الوطن" إذ لا خيار لها لأنه العريس الأبدي:

جهزوا الطرحة والفستان والشال الذي حاكته أمّي

واندهوا أولاد عمّي

فأنا ذاهبة في رحلة العمر

وعرس الخالدين

آه من حرقة نار العاشقين

وحبيبي لم يزل

منذ ابتداء الزمن

لم يزل ينتظر الوعد الذي يحملني

وحبيبي موسم من شجن

وحبيبي يا رفاقي وطني[19]

هذه النظرة المتفائلة في العودة والنصر "تجعل الشاعر يظل مصرًا على موقف واضح وحازم بعيدًا عن السوداوية التي تراود بعض نصوص كتابنا، لأنّ كاتبنا يرى ما وراء النفق ويؤمن بأن الشعوب إذا هبّت ستنتصر. إنه موقف التزم به الشاعر شكيب جهشان في

[17] القاسم، **حركتنا الشعرية إلى أين؟**، ص121. وانظر **همسة الكلمات**، ص67.

[18] . جهشان، **ثم ماذا؟**، ص116.

[19] جهشان، **ثمّ ماذا؟**، ص126.

مجموعاته الشعرية والنثرية"[20]. وتنعكس دعوات التفاؤل هذه في مجموعة "كلام قليل فيقول:

استطاع البائع الجوّال أن يمسك ببعض الحمام في باحة
منزل غاب عنه أصحابه[21]
ألقى بالحمام في كيس يحمله وانطلق
ووصل إلى بيته في القرية البعيدة،
فقصّ الريش في أجنحة الحمام حتّى لا يعود
ثمّ
نما الريش
والحمامُ عاد؟!

ويرى الشاعر هذه العودة وهذا النصر برؤية جديدة متمثلة في شخصية حاتم الجديد، في صوت العقل المتزن:

لن أجترّ الماضي
لن أتقوقع في الحاضر...
..لن ألهث بعد اليوم وراء الأجداث
لن أسحب من خلفي الدولاب
حطمت قيودي، مرآتي
وفتحت على شرفات الشمس كلّ الأبواب[22]

[20] . كامل، مقدمة الديوان كلام قليل، ص7.

[21] جهشان، **كلام قليل**، ص22.

[22] جهشان، **لوحتان**، ص88-89.

وللتعبير عن التفاؤل لا لبس فيه الذي يؤكده الشاعر في "نمر الياسين الساعدي" يحكي لكم:

ويؤكّد إسماعيل

لا بدّ تطلّ الشمس

لا بدّ تطلّ الشمس[23]

وهي النبرة والشحنة الحماسية التي يزرعها في قلب الإنسان الفلسطيني الذي يسير إلى الأمام لم ولن ينكس رايته أبدًا أو يعود للوراء ليحقق حلم الدولة:

يا إخوتي الشهداء إنّي

روّيت هذه الأرض من كبدي

ومن جرحي، وجفني

لكنني، ما عدت يومًا للوراء

ورايتي ما نكّست يوما

وإنّي

أبدًا أسير إلى الضياء[24]

ويرى سالم جبران من خلال تقديمة لديوان الشاعر "ثمّ ماذا؟!" بأن شعر جهشان تنبأ بالانتفاضة وغنّى لها قبل انفجارها فيقول:" مَن يتصفح القصائد وتواريخ كتابتها يلاحظ أن غالبية القصائد كُتبت قبل بدء مرحلة الانتفاضة، ولكن هذا لا يَدْحض تقديري بأن جهشان من خلال هذه القصائد تنبَّأ بالانتفاضة وغنّى لها، قبل انفجارها".[25]

[23] جهشان، **نمر الياسين الساعديّ يحكي لكم**، ص135.

[24] جهشان، **ثمّ ماذا؟!**، ص11.

[25] جبران، مقدمة الديوان "ثمّ ماذا؟!"، ص3.

وينعكس ذلك، في رأيه، من خلال الكلمات واللوحات التي يرسمها الشاعر لصورة البطل الفلسطيني:" إن الشاعر يرسم، من خلال الكلمات لوحات وصورًا ومشاهد البطل في كلها هو الإنسان الفلسطيني العادي، البسيط. وخلال تطور اللوحة كأنما يقول لنا جهشان أن الإنسان العادي هو البطل الحقيقي، هو جمل المحامل، هو دافع مهر العذاب والبطولة لانتزاع حرية فلسطين. خذوا مثلاً قصيدته ((يا صابر الغزي))، التي تبدأ هكذا:[26]

ألقى دفاتره وغاب

زْين الشبابْ

ألقى دفاتره وغاب على دروب المرحلَهْ

يا صابر الغزي،

أنت نبي هذا العصرِ،

أنتَ المعْضِلهْ

والمقصله

يا صابر الغزي أنتَ نبيّ هذا العصر

فآحذَرْ أن تمزقك العصيّ أو الخصيّ

وأن تعود المهزله..

فصابر الغزّيّ هو كل طفل فلسطيني في هذا الوطن الذي يحلم بوطن وهوية. هو الطفل الذي سطّر البطولات ليقيم دولته العتيدة بمقلاعه وحجره:

ولد على كتف الطريق

يدقّ في فرح قيوده

ويقيم بالأوجاع

[26] نفسه، ص4.

والمقلاع

دولته العتيدة[27]

هؤلاء الأطفال الصغار الأبطال، رجال الغد الثائرين المنتفضين في الأراضي المحتلة، وصانعي المستقبل، فيغني لهم ويروي بطولاتهم ويندب شهدائهم ويؤكد على حتميّة انتصارهم. فهم أصحاب القضية وهم أصحاب القرار ومحققو النصر، فلا وقت للبكاء ولا مكان لانتظار المدد.[28] وما نصرهم الآتي إلا لأنهم يتحدّون الجحافل، والشاعر يندهش من صمودهم ونضالهم مؤكّدا هزيمة الجحافل:

يا أيّها الولد المخاتل!!!

يا أيّها الفاشيّ

حطّت ما استطعت

وكيف شئت

ففي غد آتٍ

ستنكفئ العصيّ

وفي غد آت

ستنهزم الجحافل!!![29]

[27] جهشان، **ثمّ ماذا؟!**، ص10.

[28] القاسم، **همسة الكلمات**، ص76.

[29] جهشان، **ثمّ ماذا؟!**، ص15.

العطاء المتجدد

يؤكد أ. د. فاروق مواسي بنظرته الثاقبة حين يحلل إحدى قصائد الشاعر من المأخوذة من ديوانه "أحبكم لو تعرفون كم" بأن المعنى الجديد عند شكيب يركز على أن المعلم هو الناطور النشيط الذي لا يكل ولا يمل..... ومن ناحية أولى فرمز "العناقيد" التي لا تفنى، والتي تعني الخيرات يصبح عند المعلم صبايا بالذات، تعبيرًا عن الجمال والأنس والرهافة والحب. وبهذا المعنى يتواصل مع أصداء بيت آخر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ

والماء فوق ظهورها محمولُ

وشكيب يأخذ من هذا البيت القديم فكرة السّغب الذي أضناه وأوهنه، فأعطانا الاستعارة النفسية، إذ أحرق الوهج مناديله، وكان في بيداء يصارع الظمأ- مع أن الماء/ العناقيد في متناول يديه، ولعل ما يشفع لنا بهذا التصور استعماله (هدايا) ومناديل) كلمتين من عالم (الصبايا) الذي استهواه.

ومعنى العيس في البيداء ساقه إلى المقطوعة الثانية، فيصف نفسه بأنه حدّاء يحدو للقافلة الماضية في الصحراء تغذّ سيرها بانطلاق وانعتاق، بينما أصابت الرمضاء رجله، فعوّقه الرمل الحار عن مسيرته كما شل حركة الجمال المسافرة. وفكرة الحداء للقافلة تسوقه للمقطوعة الثالثة، فيصف نفسه بأنه مزمار، ينبثق اللحن من رئتيه، وأصداء اللحن سكارى وحيارى، ولكنه يعترف بأن أنفاسه وهنت في النفخ وذابت مهجته[30]...فهي تذوب عطاء للآخرين فيكون المعلم رمزًا للعطاء، هو الشمعة التي تحترق لتنير درب الآخرين، وهو الحارس الأمين:

[30] مواسي، " قصيدة وشاعر"، http://www.bettna.com/articals/ksaedfm/ksaed5.htm

ثلث قرنٍ

وأنا أعمل ناطورًا على كرم عنبْ

والعناقيد صبايا

وهدايا

وأنا

أحرق الوهج مناديلي

وأضناني السَّغَبْ

*

ثلث قرنٍ

وأنا أعمل حدَّاء

وتمضي القافله

والمُغذون انطلاقٌ

وانعتاقٌ

وأنا

رمض الرمل على رجلي

وشلَّ الراحله

*

ثلث قرنٍ

وأنا أعمل مزمارًا

ولحني رئتي

والتراجيع سكارى

وحيارى

وأنا

وهنت في النفخ انفاسي

وذابت مهجتي

*

ثلث قرنٍ

وأنا أعمل قنديلاً

وزيتي نزرُ

والشعاعات غناء

وعطاء

وأنا

أغرف الأضواء من عمري

وبهنا العمُرُ

*

ثلث قرنٍ

وأنا أعمل مثّالاً

وطيني الأضلُعُ

والتماثيلُ بهارٌ

وبذارٌ

وأنا

تسكن الآهات في صدري

وتهمي الأدمُعُ

*

ثلث قرنٍ وأنا أعمل بحَّارًا

وريحي نفسي

والمجاديف اكتداحٌ

وانشراحٌ

وأنا

تمَّحي الشطآن من عينيَّ

عند الغلسِ[31]

وتجلى هذا العطاء بالحبّ الذي حبا به طلابه، فهو يعطي ليزرع الفرح في عيون الناس، ليحصدوا ثمرة هذا العطاء. فممارسة العطاء عنده هو قمّة الحياة:

قمة الحياة

أن نمارس العطاء

وقمة العطاء أن نزرع الفرح في عيون الناس

وأنتم

أيها الخارجون من دائرة العطاء

إلى دائرة العطاء

يا من مارستم البذل في كل خفقةٍ

من خفقات قلوبكم

وفي كل خلجة من خلجات عيونكم

[31] جهشان، **أحبكم لو تعرفون كم**، ص15-20.

أيها الزارعون فرحًا في كل الجوانح
أيها الموزعون الحبَّ في السنابل
والعطر في الأقاحي
أيها المعلمون
أما آن لكم أن تحصدوا
بعض الفرح
وبعض السنابل
وبعض العطر ؟ !![32]

الخاتمة

وعلى الجملة فنحن أما شاعر سار في رحلة من العطاء الشائك والشائق، لم يبحث عن لقب أو منزلة أو منصب، بل حمل هموم شعبه ومجتمعه بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية. شاعر تميز شعره بالغنى والتنوّع، ولم يستقر على أسلوب واحد، فهو دائم التطور، مطعّم بالموروث الشعري العربي والعالمي. شاعر أسهم في دفع حركتنا الثقافية المحلية في سنوات الخمسين والستين الأولى من خلال إبداعاته الشعرية والقصصية والنقدية. وقد كان شاعرنا يمتلئ حنينا وعطاء للآخرين، فكان المعلم رمز العطاء، وكان الشمعة التي تحترق لتنير درب الآخرين، وكان الحارس الأمين للغته العربية.

[32] جهشان، **أحبكم لو تعرفون كم**، ص15-20.

ببليوغرافيا

. جهشان، شكيب، **أحبكم لو تعرفون كم**، الناصرة: مطبعة الحكيم، 1988.

ـــــــ، **رباعيات لم يكتبها عمر الخيّام**، الناصرة: مطبعة فينوس، 1993.

ـــــــ، **لوحتان**، الناصرة، مطبعة فينوس، 1994.

ـــــــ، **نمر الياسين الساعديّ يحكي لكم**، الناصرة: منشورات مجلة "مواقف"، 1996.

ـــــــ، **يطلون أوسمة من شذا**، كفر قرع: دار الهدى، 2001.

ـــــــ، **أذكر**، ط1، القاهرة: دار العالم الثالث، 2003.

ـــــــ، **كلام قليل**، ط1، كفر قرع: دار الهدى، 2010.

. صدوق، راضي. **شعراء فلسطين في القرن العشرين**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2000.

. القاسم، نبيه، **حركتنا الشعرية إلى أين؟!**، كفرقرع: دار الهدى، 1991.

ـــــــ، **هسهسة الكلمات، دراسات في الشعر**، كفر قرع: دار الهدى، 2010.

ـــــــ، **إضاءة على الشعر الفلسطيني المحلي**، دار المشرق، 1987.

. كامل، رياض، **نصوص وظلال، مقالات في دراسة الشعر الفلسطيني**، ط1، الناصرة: مطبعة فينوس، 2001.

. مروّه، حسين، **الموقف الثوري في الأدب**، بيروت: الفكر العربي، د.ت.

مواقع إلكترونية

http://www.bettna.com/articals/ksaedfm/ksaed5.htm

http://www.zeinab-habash.ws/commenton/yahia-zakaria.htm

http://www.bettna.com/articals2/showArticlen.ASP?aid=1412

http://www.farfesh.com/Display.asp?catID=162&mainCatID=181&sID=25160